من تلامذة الإمام الشاطبي

من تلامذة الإمام الشاطبي المقرئ (ت: ٥٩٠ هـ) غير المعروفين:

أبو عمرو بن الحاجب (ت: ٦٤٦ هـ)، وهو: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكُرْدي، الدُّوِيني الأصل [ويصح: الدَّوِيني: بلدة في حدود أَذَرْبِيجَان]، الإِسْنَائي المولد، المقرئ، المالكي، النحوي، الأصولي. ولد في إِسْنا [وقد تُفْتَح فيها الهمزة]، من أعمال الصعيد [في الأقصر حاليًا، وتصح فيه النسبة: إِسْنَوِي]. وكان أبوه جنديًا **حاجبًا** للأمير عِزِّ الدين مُوسَك الصَّلَاحي [ابن خال السلطان: صلاح الدين الأيوبي، وقد أطلق اسم المُوسْكِي على حي عريق من أحياء القاهرة تخليدًا لمؤسس الحي: الأمير عِزِّ الدين مُوسَك].

فاشتغل أبو عمرو بن الحاجب في الصغر بالقاهرة، وحفظ القرآن، **وقرأ ببعض الروايات على الشاطبي، وسمع منه التيسير [لأبي عمرو الداني]، وسمع منه الحديث، وتأدب عليه.** وكان حادَّ القريحة، يتوقد ذكاءً، قدم دمشق ودرس بها، وأكبَّ الفضلاء على الأخذ عنه، وصنف التصانيف النفيسة المتنافس فيها.

ثم نزح عن دمشق هو والشيخ عز الدين ابن عبد السلام عندما أعطى صاحبها بلد الشَّقِيف [في لبنان الآن] للفِرِنْج، فدخل مصر، وتصدر بالمدرسة الفاضلية [التي كان يدَرِّس فيها الإمام الشاطبي].

نقل جعفر بن ثعلب الإِدْفَوِي الشافعي (ت: ٧٤٨ هـ) عن محمد بن علي القشيري: أنه قال فيه: (هذا الرجل تيسرت له البلاغة فتفيَّأ ظلَّها الظليل، وتفجرت ينابيع الحكمة فكان خاطره ببطن المَسِيل، وقرَّب المرمى فخفَّف الحمل الثقيل، وقام بوظيفة الإيجاز فناداه لسان الإنصاف: ما على المحسنين من سبيل).

قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ): "ومؤلفاته تنبئ عن فضله: كمختصرَيِ الأصول والفقه، ومقدمتَيِ النحو والتصريف، ولا سيما أَمَالِيه التي يظهر منها ما آتاه الله من عظم الذهن وحسن التصور، إلا أنه أعضل فيما ذكره في مختصر الأصول حين تعرض للقراءات، وأتى بما لم يتقدم فيه غيره ما أوضحت ذلك في كتابي المُنْجِد وغيره. توفِّي بالإسكندرية، ودفن من يومه بباب البحر [مقبرة قديمة، الآن موقعها جهة الشمال، فيما بين ميناء الإسكندرية الشرقي والغربي]، رحمه الله تعالى".

ينظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (ص ٣٤٨)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٦٦)، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد (ص ٣٥٣)، غاية النهاية (١/ ٥٠٩).

كتبه حامدًا ومصلِّيًا ومُترحمًا

طاهر بن سعيد الأسيوطي